الإنسان لله تعالى. سعى الغزالي لإثبات أن الذي يستحق الحب هو الله وحده، وساق الأدلّة على ذلك على النحو التالي:

)الأوّل): هو أن الإنسان لايحبّ إلاّ نفسه، وهو يعمل دائماً على المحافظة على حياته واستمرار وجوده والذي يضمن له هذا الوجود واستمرار حياته هو الله تعالى، فإنّه يتوجب عليه أن يحب الله تعبيراً له عن شكره وامتنانه لخالقه. وهذا يعني أن بداية الحب عند الإنسان هي بشرية، فلا يبدأ الإنسان بالحب إلاّ إذا أحب مايعرفه وأوّل مايعرفه هو ذاته ويبدأ بهذا النوع من الحب الأرضي والذي سيرتفع بواسطته إلى أنواع أخرى من الحب تكون محصّلته حبّا أسمى من الحب البشري، والذي يهدف إلى تحقيق أغراض دنيويّة.

)الثاني): هو أن الله هو المحسن لعباده، وهو يقدّم لخلقه كلّ مايحتاجون إليه في هذه الحياة الدنيا دون أن يكون له حاجة للناس لأنه، ولا يمكن أن نطلق معاني الجود والإحسان على غير الله إلاّ عن طريق المجاز، ويجب على الإنسان أن يدرك أفضال الله تعالى عليه، ويجب أن يتوجّه إليه بكل قلبه، والتفرّغ لعبادته، وأن يكون حبّه خالصاً لله.

) الثالث): هو أنّه يتوجب على الإنسان أن يحب الله حتى لو لم يصله إحسانه ، ، لأن الله تعالى هو المحسن للناس كافة ، ويكفي من إحسان الله للناس منحه الحياة لهم ، وتوفير مايحتاجونه على العموم من النعم ، حتى لو وصلت إلى الناس بصور مختلفة.

) الرّابع): وهي أن أشرف مايعرفه الإنسان هو الجمال لأنّه بطبعه يحّب الجمال ، ويميل الإنسان إلى حب الجمال لذاته دون أن يكون من وراء هذا الحب مصلحة له ، والله هو كمال كل شيء وحيث أن الإنسان لايجد حوله في هذا الوجود ماهو مطلق ، فالله تعالى هو غاية الطلب بالنسبة للإنسان ، ويجب عليه أن يحبّه لأن الإنسان يحب الجمال، والله هو الجمال المطلق.

) الخامس): هو أن الإنسان يعمد على تنفيذ الأوامر الإلهية بالعبادات، وعمل الخير، والإحسان للآخرين، لأن الإلتزام بالأوامر الإلهيه يعني قرب الإنسان من ربّه، ويصبح شبيهاً به، ليس بالصفات ، ولكن بتنفيذ ماأمر به الله، لأن ماأمر به الله تعالى هو من صفاته، وكلّما التزم الإنسان أكثر وجب عليه أن يحب الله أكثر. لأنّ الله هو أولى بالحب من غيره، وأن حب الإنسان لله يكون كاملاً كلّما أحب الإنسان ربّه من كل قلبه، أما إذا إذا كانت أي زاوية من زوايا قلبه مشغولة بغير حب الله نقص ذلك من حبّه لله ، ومن يسعى لحب الله فلامكان لأي أمر دنيوي في حياته''.

وهذا مايؤكّده ابن قيم الجوزيّة بقوله ''أن المحبّة الخالصة أن يُحبّ المحبوب لكماله، وأنّه أهلٌ أن يُحب لذاته وصفاته ''وقال'' أن الذي يوجب هذه المحبّة فناء العبد عن إرادته لمراد محبوبه فيكون عاملاً على مراد محبوبه منه لامراده هو من محبوبه ''.

فقد وجب على الإنسان أن يردّ الدّين إلى الله، الذي منحه كلّ شيء في هذه الحياة، وما هو مطلوب من الإنسان هو أن يعمل على إرضاء الله، وعندما يسعى الإنسان إلى إرضاء الله فهو يسعى من ناحية أخرى لإرضاء نفسه، لأن الله ليس بحاجة لرضى الإنسان عنه، بينما الإنسان بحاجة إلى رضى الله عنه، وهو –أي الإنسان– إذا كان لايعلم أن الله قد رضى عنه أم لا، فأنّه يجب عليه أن يعمل بجد وإخلاص لعلّه يحظى به لأن ''المحبّة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات''، فما يصل إليه الإنسان من تطوّر فكري في حياته لايمكن أن

يحقّقه إلاّ إذا كان حب الله يملأ عليه حياته، ومادام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله''. وحب الله تعالى لايتجزّأ، بل هوكلّ لايستطيع أي إنسان كما ذكرت رابعة أن يحب الله ويشرك مع حبه حب أي أمر من أمور الدنيا '' وكمال الحب في أن يحب الله بكل قلبه''. لأنه لا يوجد قبل الله حب ولا بعده حب لأن ''المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات''.

ويميّز الغزالي بين حب الإنسان العادي وبين الصّوفي بقوله ''والمؤمنون مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبّة، ولكنّهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة، وفي حب الدنيا''، فهو عندما يتحدّث عن حب الله يقصر حديثه على فئة ''المؤمنين'' وهذا يعني أن معرفة الله قصر على ''المؤمنين '' فقط، ولكن حتى بين المؤمنين بالله يوجد هناك تفاوت في حب الله وذلك لاختلاف الطرق التي يسعون إليها لتحقيق هذا الحب، وسبب هذا الخلاف أن هناك الكثير من المؤمنين يقبلون على حب الدنيا، وهذا مايجعلهم يتراجعون في مستوى الحب الإلهي، وهناك فئة من المؤمنين وصلت إلى حد المعرفة المطلوبة وذلك بابتعادهم عن الدنيا لأن '' المحبّة نبع المعرفة بالضرورة ولايوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلاّ بالفكر الصّافي والذاكر الدّائم والجدّ البالغ في الطلب، والنظر المستمرّ في الله تعالى، وفي صفاته، وفي ملكوت سمواته، وسائر مخلوقاته''. وفي ذلك يحدّد الغزالي للمؤمن الطريق التي يجب عليه أن يسلكها حتى يصل إلى مرحلة التصّوف ، وكأن الإيمان لايكفي وحده عند الغزالي للوصول إلى مرحلة الحب الإلهي ، بل هو بحاجة لشروط يجب توفرها فيه للإنتقال من مرحلة المؤمن إلى مرحلة المتصوّف.

ابن الفارض:

وبرز موضوع الحب الإلهي بصورة جديدة عند صوفي تميّز عن غيره من الصّوفية السابقين عليه هو عمر بن الفارض (577 – 632 هجريّة)، الذي عبّر عن حبّه لربّه عن طريق الشعر، وكان هو الصّوفي العربي الوحيد الّذي انطلقت روحه جيّاشة بالتعبير عن الحب الإلهي من خلال النظم شعراً وترك لنا ديواناً من الشعر يتنقّل من يقرأه بين الصور الجماليّة الرّائعة للحب الإلهي في أجلى صوره، وأطلق عليه لقب ''سلطان العاشقين''، ويصفه أبو العلا عفيفي بأنّه'' أحد أقطاب العاشقين وأعظم شاعر صوفي في اللغة العربيّة على الإطلاق''، فقد أمضى حياته يعبد الله ويتقرّب إليه من خلال قصائده التي بثّ فيها صور الحب الإلهي، فقد تغنّى في كل ماهو جميل في هذا الكون، واتّخذ حبه بالنظر إلى جمال الكون من حوله ليعبّر من خلال عالم الحس المادي، ومنه إلى عالم الخلود، حيث يتجلى الله في هذا العالم من خلال معجزات الوجود التي تحيط بالإنسان، وكل علامة من علامات هذا الوجود تعني أن الله موجود ولكن ليس على شكل المادة، فكان الحب الذي يطلبه ليس ماديّاً بل يسمو على المادة ليصل إلى الله تعالى، بما في هذا الحب من روحانيّة...

وكي يحب الإنسان الله يتوجّب عليه أن يتحرّر من سلطة المادة التي تحاصر الإنسان من كل جانب ، وفكّ الحصار هذا يوجب على الصّوفي أن ينطلق في آفاق الكون باحثاً عن سرّ الوجود، وهذا مالن يصل إليه الإنسان إلاّ إذا تحرّر بروحه من سلطة البدن ومن عالم المادة بما فيها من رغبات وشهوات، وهذا لايتم إلاّ بتحرير الروح من سطوة الجسد'' وتصفية النفس وتنقية القلب وجلاء عين البصيرة لتستحيل حياة الإنسان في هذه الدنيا إلى حياة روحيّة خالصة، تستعيد فيها روحه روحانيّتها الأولى وتستشعر حبها القديم الذى منحته قبل أن تهبط من عالمها العلوي

وتتصل ببارئها''، وإذا تمكن الإنسان أن يصل إلى هذه المرحلة ، فإنه يمكن القول أن الإنسان قد أصبح قريباً من الله، بل قد فني في الله، لأن الذي يحب الله لا يعود له أدنى اهتمام بوجوده الذاتي بل هو يستمدّ وجوده من الله، وقد نظر إلى المحبّة الإلهية باعتبارها فناء المحب عن نفسه وبقاءه بالله وحده.

وقد وصل ابن الفارض إلى مرحل رأى نفسه فيها إمام العاشقين ومرجعهم الأوّل في كل مايتعلق بالحب الإلهي ويدعو الناس إلى اتباع خطواته للوصول إلى مرحلة متقدمة في حب الله وكسب معرفته لأنّه وصل إلى الطريق التي تقوده إلى معرفة الله أكثر من غيره ، ويقول:

زدني بفرط الحـــــب فيــك تحيّراً***وارحم حشى بلظى هواك تسعّرا

وإذا سألتـــــك أن أراك حقيقةً***فاسمح ولاتجعل جوابي لن ترى

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا***سرّ ارقّ من النسيم إذا سرى

وأباح طـــــرفي نظرة أمّلتها***فغدوت معروفاًوكنت منكرا

فدهشت بين جماله وجلاله***غدا لسان الحال عنّي مخبرا

ويبدو أن هذه الحال التي وصل إليها ابن الفرض قد جعلته يشعر بالتفوّق على السابقين والمعاصرين من الصوفية، لأن ما حصل عليه من الله لم يحصل عليه أحد غيره.

فهو المتقدّم على الجميع في مجال الحب الإلهى لدرجة أنّه يطلب من الآخرين أن لا يبحثوا عن أسرار الصوفيّة إلا من خلاله، فهو الوحيد الذي يستحق أن يسمع، وأن يكون القدوة لغيره ، ولولا استغراقه في الحب الإلهي لما وصل إلى هذه الحالة من الحب الخالص لله.

فابن الفارض ينصّب نفسه سلطانا للعاشقين، ويعتبر نفسه المرجع الأول والأخير، ولم يعد هناك حبّ لله إلاّ بواسطة معرفة ماقام به ابن الفارض للتعبير عن حبّه لله.

وما فعله ابن الفارض فعله معظم الصّوفيّة الذين رأوا بالعزلة، أحد أهم الشروط التي كان عليهم أن يلزموا أنفسهم بها لإرضاء الله تعالى. ولم يكن له هدف سوى محبّة الله دون أن يسعى لتحقيق غرض دنيوي من هذا الحب.

قائمة المصادر والمراجع:

2- ابو العلا عفيفي، التصوّف ، الثورة الروحيّة في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، 1963.

3-الطّوسي، اللّمع في تاريخ التصوّف الإسلامي، صحّحه مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

6-الغزالي ، المنقذ من الضلال ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1 ، 1988.

9-عبد الرحمن بدوي ، شهيدة العشق الإلهي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1978 ، ط4 .

10-الغزالي ، إحياء علوم الدين ، عالم الكتب ، دمشق ، د . ت .

12-ديوان ابن الفارض، تحقيق عبد الخالق محمود، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والإجتماعيّة، القاهرة، د. ت.

14-محمد مصطفى حلمي ،ابن الفارض والحب الإلهي ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، 2003.

15-الغزالي ، التبر المسبوك ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ط1 ، 1987.

16-الغزالي ، القسطاس المستقيم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 1986..